

نظرات في بعض القصص القرآنية: دراسة فنية تحليلية

بقلم د. إبراهيم إسحاق أولايويولا

Ibrahim Ishaq Olayiwola

مقدمة:

امتاز قصص القرآن بسمو غاياته، وعظيم مقاصده، وعلو رامه، اشتمل على فصول في الأخلاق مما يهذب النفوس، ولا يجمل الطباع، وينشر الحكمة والآداب، وطرق في التربية والتهذيب شتى أو مختلفة، تساق أحيانا مساق الحوار، وطورا مسلك الحكمة والاعتبار، وتارة مذهب التخويف والإندار، كما حوى كثيرا من تاريخ الرسل مع أقوامهم، والشعوب وحكامهم، وشرح أخبار قوم اهتدوا فمكن الله لهم في الأرض، وأقوام ضلوا، فساءت حالهم، وخربت ديارهم، ووقع عليهم العذاب والنكال، يضرب بسيرهم المثل، ويدعو الناس إلى العبرة والتدبر.

كل هذه قصة في قول بين، وأسلوب حكيم، لفظ رائع، وافتنان عجيب، ليدل الناس على الخلق الكريم ويدعو إلى الإيمان الصحيح، ويرشدهم إلى العلم النافع، بأحسن البيان، وأقوم السبل، وليكون مثلهم الأعلى فيما يسلكون من طرق التعليم، ونبراسهم فيما يصطنعون من رسائل الإرشاد.

وغيرنا من هذا البحث تسليط الضوء على اعجاز القرآن المتعدد عن طريق تحليل ما ورد في بعض القصص القرآنية للوقوف على الأسرار، والحكمة الكامنة في ورودها، توضيحا لبعض غوامضها اللغوية وترسيخا لأفكارها في أذهان القراء.

تأملات فنية مع قصة زكريا (عليه السلام)

قصة تجلت فيها معاني الإعجاز والبلاغة القرآنية وجمال البيان والتعبير ودقة الوصف والتصوير في أروع مظاهرها، قصة تجلت فيها رقة العاطفة الإنسانية وخلجات النفس البشرية التي تشفق على الحياة وتحرص على بقاء الذكر ووجود الوارث واستمرار النسل- الذي لا يستغرب من الإنسان ولا يلام عليه- حتى كأنك تسمع في هذه الآيات دقات القلب وهواجس الضمير، قصة تجلت فيها الإنسانية الحساسة الضعيفة والنبوة الكريمة القوية جوارًا بجوار وجنبا بجنب، فجاءت تصويرا صادقا ناطقا لنبي إنسان، أو إنسان نبي، وأصبحت قطعة أدبية لا نظير لها في آداب الأمم، وفيها عرف الإنسان ما فيها من بلاغة وبيان لأنه (لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) سورة فصلت:42 وجاءت حلاوة الجرس وجمال النغمة وروقة الألفاظ فزادت جمالا إلى جمال وطابقت روح القصة وموضوعها.

إنسان أكرمه الله بالنبوة وحمله أمانة الحياة وأمانة الشرف الذي ورثه كابرًا عن كابر وأمانة الرسالة الكريمة، وابتلى بجفاء الأقران وظلم الإخوان، ولم يزل يتحمل كل ذلك في قوة وجلد وصرامة حتى طعن في السن ودخل في المرحلة التي لا يطمع فيها الإنسان في حياة طويلة ويلتجئ فيها إلى مؤنس ورفيق وإلى خليفة يبقى به ذكره وتعيش به رسالته، وقد شاهد النبي زكريا- الذي نقرأ قصته في هذه الآيات في حياته ما ينذر به بقرب الرحيل وانقطاع العمر وهو نذير الشيب الذي أوهن العظم وبيض الشعر. هناك هاجت العطفة الإنسانية التي يقودها للإشفاق على الرسالة والخوف من الضياع وهو رجل وحيد فريد ليس له ولد يأنس إليه ولا خليفة يعتمد عليه، وكم ضاعت الأمانة بموت أصحابها وفقدان من يقوم بها ويحذب عليها- فدعا ربه أن يرزقه ولدا تقر به عينه ويحمل الرسالة التي يرثها، يرثها بعده ولسكنه - لما أراد أن يدعو- خاف، أن يسخر منه أقاربه ومن حول ممن لا يخافون الله ولا يعرفون قدره ولا يعرفون سمو عاطفة زكريا وشرف غرضه، يضحكون لأنه يدعو للولد في هذه السن العالية التي لا يولد فيها- لمثله- عادة، انه خاف السفاهة والشماتة، وقديما خافها الأنبياء الكرام والرجال العظام، وقد قال النبي هارون (... قال ابن أم ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم

الظالمين... سورة الأعراف، آية:150)، فدعا ربه في احتراس واسرار، ولكن في جد وإصرار: (إذ نادى ربه نداء خفياً) سورة مريم، آية:3)، إنه كان يشعر أنه تقدم في السن، ودلت القرائن والآثار على أنه سيغادر الدنيا من غير عقب وخليفة، ولكنه واثق بقدره الله، مؤمن بأن الله على كل شيء قدير، انه قرأ قصة إبراهيم في التوراة وكيف رزق الولد في سن أعلى من سنه وكيف قال لما بشر بالولد (قال أبشرتموني على أن مسني الكبير... سورة الحجر، آية: 54. فبم تبشرون) وهكذا قال زكريا (قال رب انى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا، ولم أكن بدعائك رب شقيا ، سورة مريم:آية: 4) لقد تجلت فيها العاطفة مع العقل والعلم، والحب مع الإيمان واليقين فكان خير دعاء يدعو به عبد يؤمن بقدره ربه.

ولم يكن مجرد دعاء رجل لا هم له إلا في الولد، بل هو دعاء نبي يحب أن يكون له ولد يحمل أعباء دعوته وتراث آبائه الصالحين بعده وإلى ذلك أشار القرآن (يرثنى ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا). (سورة مريم، آية: 6) ولما بشر بإجابة الدعاء هاجت فيه الإنسانية وتجارها، قال: (رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا). (سورة مريم : 8)

وطلب على هذا الحادث الغريب آية يعرف بها قرب وقوعه ويزداد بها إيمانا، فمنح آية عدم القدرة على الكلام ثلاثة أيام، ومن قدر على سلب قوة يملكها الإنسان قدر على منح قوة لا يملكها الإنسان. وهكذا كان حتى احتاج الى الحديث إلى قوم بالإشارة وجاء يحيى الولد البار الرشيد الذي أكرمه الله بالعلم والحكمة في الصبا، والحنان والزكاة والتقوى والبر في الكبر.

وهكذا انتهت هذه القصة الجميلة البليغة لتبتدئ قصة أخرى وليؤ من الإنسان بقدره الله وفضله.

وفي سورة النور: 35-38

"الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاج كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم* في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح الله فيها بالغدو والأصال* رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب*

المساق الفني:

إن الآيات الجميلة الرائعة التي نحن بصددتها تحدثنا عن هذا الكون الذي نعيش فيه ونهيم فيه حبا وغراما، في أسلوب جديد أسلوب الحي الإلهي، أسلوب الأنبياء المرسلين، الذين إنكشفت لهم الحقائق، واهتدوا من الكون إلى فاطر الكون وسعدوا بالمشاهدة واليقين، ولقد قال قائلهم وقد رأى الشمس تغيب في الأفق: (قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحى إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أننكم لتشهدون أن مع الله الهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو اله واحد وإنني بريء مما تشركون" ،"الأنعام 19" وقد قيل: "وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من المؤمنين". الأنعام، 75.

حدثنا هذه الآيات عن سر الحياة، وعن سر القوة والحركة والنشاط، عن سر البهجة والأنس، عن سر الجمال الفاتن، عن سر كلما في هذا العالم من حسن وجمال .

العبرة في قصة لقمان الحكيم

حكمة لقمان وموعظة الايمان:

قال الحق: واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم* ووصينا الانسان بوالديه، حملته أمه وهنا على وهن، وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير*

وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصا حبهما في الدنيا معروفا واتبع
سبيل من أناب الي، ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون* يا بني إنها ان تك مثقال حبة من
خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير* يا بني أقم
الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور* ولا تصعر
خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا، إن الله لا يحب كل مختال فخور* واقصد في مشيك
واغضض من صوتك، ان أنكر الأصوات لصوت الحمير* ألم تروا أن الله سخر لكم ما في
السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
ولا هدى ولا كتاب منير). (سورة لقمان : 13-20)

المساق الفني:

سجلت الصحف السماوية وسجل الأدب الديني مواعظ دينية كثيرة منها هذه الموعظة اللقمانية
التي هي من أبلغ هذه المواعظ وأجمعها، وقد تجلت فيها حكمة الأنبياء ودعوتهم في أجمل مظاهرها
وأروعها إذن لا غرابة إذا ضرب المثل بحكمة لقمان.

فهذه الموعظة وجهها والد أكرمه الله بالعقل الحصين والحكمة البالغة التي لا تؤتى إلا الأفاض
الراسخون في العلم وقد قال الله تعالى: (ولقد آتينا لقمان الحكمة)، وجهها إلى ولده وفلذة كبده
فجمعت بين شفقة الآباء وهداية الأنبياء وقد انتقى الوالد الكريم العظيم لولده الحبيب الأثير
أصول الحكم وجوامع الكلم، وفضائل الأعمال، ومكارم الأخلاق، فجاءت موعظة فريدة يعمل بها
العقلاء في كل عصر ومصر فينالون سعادة الدنيا والآخرة.

بدأ لقمان في وعظ ابنه بالنهي عن الشرك وقال في إيجاز وإعجاز (يا بني لا تشرك بالله، ان الشرك
لظلم عظيم)، ولا أبلغ في تصوير الشرك وتهجينه من أن يقال: إنه ظلم عظيم، إنه وضع العبادة
في غير محلها وتفريط في حق الله وأي تفريط في حق الله وافراط في حق المخلوق فهو مجموع
جنايات وجرائم تجمعها كلمة (الظلم) ومن أظلم ممن أعطى حق الله عبیده، وترك ملك الملوك،

وخضع للذليل المملوك، فكان كتشبتُ الغريق بالغريق، واستغاثه الرقيق بالرقيق، وحاجة الفقير إلى الفقير، ولجوء المريض إلى المريض.

وقرن الدعوة إلى التوحيد بالدعوة إلى البر بالأبوين، ومعرفة حقوقهما، ولا سيما الأم التي كان جهادها أعظم في حضانتها ونشأته، (حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين)، وقد حث الله على معرفة فضلها وشكرهما لأن منتهما أعظم من المخلوق، (أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير).

ولكن إذا زاحمنا حق الله وألحًا على الشرك، فلا طاعة لهما ولا كرامة إذ (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما)، ولكن لا اهانة ولا إيذاء (وصاحبهما في الدنيا معروفًا)، فلا بأس بالبر والمواساة، وصللة الرحم أما الإتياع فلا يجوز إلا لذوي الهداية والمعرفة والإنابة إلى الله (واتبع سبيل من أناب إلي).

ولما كان الجمع بين البر بالأبوين وبكل من له حق وفضل وبين مفارقتهما ومجانبتهما في العقيدة وحقوق الله، فبر بالأبوين من غير إطاعة في الكفر والإثم، وثبات على التوحيد وعبادة الله من غير هضم لحقوق الوالدين، لما كان ذلك مهمة عسيرة دقيقة لا يطلع على زلاتها الا العليم الخبير قال الحق: (إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون).

ثم ذكر في هذه المناسبة اللطيفة أن الله هو الجدير بالعبادة واللجوء إليه والسؤال والدعاء، منه إذ لا بد لمن يلجأ إليه ويعتمد عليه في قضاء الحوائج وإسعاف المطالب أن يحيط علمه بالدقيق والجليل ويطلع على الضمائر والخواطر، فقال: (يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في الأرض يأت بها الله ان الله لطيف خبير).

ثم دعا ابنه إلى أمور أساسية في الدين والأخلاق، إذا ما حافظ عليها الإنسان وأخذ بها كان عبدا صالحا وعضوا كريما في الأسرة الإنسانية، منها اقامة الصلاة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والصبر على المصائب، ومنها التواضع للناس والسداد والاقتصاد في السيرة والسلوك، وكل مجتمع

سادت فيه الصلاة التي هي حق الله على العباد والتي تنهى عن الفحشاء والمنكر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر، وكان أعضاؤه بعيدة عن التكبر والاختيال والإسراف والجفاء، كان مجتمعا مثاليا ومجتمعا فاضلا كريما يسعد به العالم وتسعد به الحياة.

واختم هذه الموعظة بذكر آلاء الله ونعمه السابغة الظاهرة الباطنة التي توجب الشكر والعبادة والتوحيد وتنشط للعمل بهذه الموعظة المخلصة الرقيقة التي ألقاها عبد مخلص حكيم على ولده العزيز و على الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه فقال: (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) فقال: (ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير) لقمان 20. وهذا يقودنا إلى قصة أخرى وهي:

عروج النبوة وهبوط الجاهلية:

(والنجم اذا هوى* ما ضل صاحبكم وما غوى* وما ينطق عن الهوى* ان هو الا وحى يوحى* علمه شديد القوى* ذو مرة فاستوى* وهو بالأفق الأعلى* ثم دنى فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى* فأوحى إلى عبده ما أوحى* ما كذب الفؤاد ما رأى* أفتمارونه على ما يرى* ولقد رآه نزلة أخرى* عند سدرة المنتهى* عندها جنة المأوى* اذ يغشى السدرة ما يغشى* ما زاغ البصر وما طغى* (سورة النجم 1-30)

إن الدين الذي لم يزل الأنبياء يأتون به في عصورهم، وجاء به محمد(ص) أخيرا قائم على اتصال الأرض بالسماء واتصال الشهود بالغيب، واتصال رسل الأرض برسل السماء وتفتح كوة جديدة للعلم واليقين لا عهد لعلماء الطبيعة والآداب بها ولا سبيل لهم إليها، هذا الاتصال هو الذي يسميه الله بالوحي والرسالة، وكان اتصالا يدين له العالم وتدين له الأجيال البشرية في أعز ما عندها من العقيدة الصحيحة والمبادئ بوحى السماء عن طريق الملك الكريم ويقول مؤكدا: (ما ضل صاحبكم وما غوى)، ويقول إن الرسالة التي جاء بها لا تقاس بما أنتجتة القرائح البشرية

والعقول النابغة، فمصدرها القياس والتجربة ومنبعها الدراسة والممارسة، ورافعها الهوى والضرورة.

أما الرسالة التي جاء بها محمد(ص) فمصدرها الوحي والإلهام (وما ينطق عن الهوى* إن هو إلا وحي يوحى*)، فلا يتطرق إليها الشك ولا تبطلها التجارب ولا يعترها البلى، ولا تتناقض مع الحقائق، ولا تفقد حياتها وجدتها في عصر من العصور.

ثم وصف الله الوسطة الكريمة التي حملت هذه الرسالة إلى أفضل البشر بنعوت وصفات فيها الجلال والقوة، وفيها الروعة والعظمة، ووصف الجو الذي يكتنف هذا الاتصال بصفات تتصل بعالم الغيب وعالم الروح والملائكة، وعاد فنفي الوهم والالتباس عنه في ساعة الوحي وتلقى الإلهام ومشاهدة الملائكة والاتصال بعالم الغيب، فقال: (ما زاغ البصر وما طغى* لقد رأى من آيات ربه الكبرى*).

ثم أقبل على عبّاد الأوثان وأهل الجاهلية والوثنية في عصر ظهور الإسلام وقد حرصوا على تخصيص الإناث بالعبادة وإشراكها في الألوهية، فاللات والعزى ومناة أشهر آلهة الجاهلية العربية وأشهرها إناث، وآلهة الإغريق القدماء وكثير من الشعوب التي كانت تسكن في أواسط آسيا إناث، وقد عرفت واشتهرت كراهية العرب وتذممها من البنات، حتى شاع وأد البنات في قبائل كثيرة، وقد صور القرآن امتعاض العرب الأشراف من بنت تولد تصورا بليغا دقيقا فقال: (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم* بتوارى من القوم من سوء ما بشّر به* أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون*). سورة النحل:58.

أقبل على هؤلاء المشركين الذين جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا وجعلوا لله البنات ولهم البنين فقال: (أفأريتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، ألكم الذكر وله الأنثى*) آية: 19- 21 ثم قال متهمكما ساخرا: (تلك إذا قسمة ضيزى) آية: 22. وهكذا الوثنية خرافة وتناقض وأسطورة خيالية (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآبؤكم ما أنزل الله بها من سلطان) آية: 23.

وذلك لأن الجاهلية تقوم دائماً على الأساطير والحكايات والتقاليد والعادات، والظنون والقياسات، والأهواء والشهوات إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس).

ثم ذكر أن هذه الجاهلية لا تقوم على أساس من العلم واليقين، إنما هي قياس في قياس وظن وتخمين، (وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئاً). النجم: 28.

وذكر أن في الناس طبقة لا شأن لها بالمعرفة الصحيحة، والحياة الباقية، والأعمال الصالحة والأخلاق الفاضلة، أكبر همها ومبلغ علمها هذه الحياة الدنيا ورفاهيتها ودعتها مآكلها ومشاربهها، هذه هي الطبقة التي تضيع فيها حكمة الأنبياء وشفقتهم وإخلاصهم وتوجيههم، فأولى الانصراف عنها إلى طبقة تطلب عن الهداية، وتهتم بالآخرة، (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا* ذلك مبلغهم من العلم، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى).

سورة النجم 29-30

سيرة في سورة:

سيرة النبي في السورتين الضحى والشرح:

والضحى* والليل إذا سجى* ما ودّعك ربك وما قلى* وللأخرة خير لك من الأولى* ولسوف يعطيك ربك فترضى* ألم يجدك يتيماً فأوى* ووجدك ضالاً فهدى* ووجدك عائلاً فأغنى* فأما اليتيم فلا تقهر* وأما السائل فلا تنهر* وأما بنعمة ربك فحدث*

ألم تشرح لك صدرك* ووضعنا عنك وزرك* الذي أنقض ظهرك* ورفعنا لك ذكرك* فإن مع العسر يسراً* إن مع العسر يسراً* فإذا فرغت فانصب* وإلى ربك فارغب*

إذا سئلت هل اشتمل القرآن على صورة مفردة واضحة الملامح والقسمات لحياة محمد(ص) وطبيعته وتاريخه وخلاصة حياته؟

وإذا قيل إن مادة السيرة النبوية وحوادث حياة النبي(ص) منشورة ومبعثرة في القرآن فهل جاء ذلك مجموعاً مركزاً في مكان واحد؟ قلت- في غير تردد واضطراب- نعم إن سورة الضحى وسورة الشرح صورة ناطقة واضحة الملامح والقسمات وخالصة بليغة لهذه الحياة الفريدة، إذا تناولها إنسان بشيء من الشرح والتفسير وفصل ما أجمله القرآن كان ذلك كتاباً في السيرة النبوية من أبلغ ما جرى به قلم ومن أصح ما رواه (وَلَا يَنْبُئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ). سورة فاطر:14

لقد كانت بعثة النبي(ص) في الجاهلية العالمية طلوع الصبح الصادق في ظلام الليل الغاسق، وقد كانت كمطلع السحر في كل يوم يبتدئ كعمود من النور ثم لا يلبث أن يتسع ويهر ضياؤه ويتعالى النهار وذلك هو الضحى، وهو تصوير صادق دقيق لما وصل إليه الإسلام ووصلت بفضلها الإنسانية ما وصلت إليه من الأوج والنبوغ بالتدرج.

وقد كان لهذا الوحي الذي كان مصدر السعادة والإشراق للعالم فترات كانت لتستجم فيها القوى الروحية وتستعيد قوتها وجدتها حتى تستقبل ما يفتح الله به عليها من رحمته في غد بنشاط جديد وتلك حكمة تعاقب الليل الهادئ للنهار الصاخب، الحكمة التي أخفيت على ضعاف العقول في مكة فقالوا حين فتر الوحي وتوقف بعد وحي غار حراء، أن محمداً قد قلاه صاحبه فخطب صاحب الرسالة (ص) وقيل * ما ودعك ربك وما قلى* وقرر أن مستقبل هذه الرسالة ومستقبل من يحملها إلى الإنسانية ومستقبل الأمة التي تخلص لها وتجاهد في سبيلها أعظم وأوسع في الدنيا والآخرة من أن تقدره العيون الكلية والعقول الضيقة *وللآخرة خير لك من الأولى* ولسوف يعطيك ربك فترضى* ثم صور القرآن الحياة النبوية قبل النبوة في بلاغة لا بلاغة فوقها واستعرض أدوار اليتيم والحيرة والفقر التي مر بها هذا الإنسان العظيم الذي وجد يتامى العالم وبؤسائه في كنفه وتعاليمه حنان الأمومة والأبوة، وضلال الإنسانية سبيل الرشاد وهداية النبوة وفقراء الأمم وصعاليكها عطف الآباء ومواساة الأخوة فقال * ألم يجدك يتيماً فأوى* ووجدك

ضالاً فهدي* ووجدك عائلاً فأغنى*. ثم نبه على أن من شأن من ذاق مرارة اليتيم وتعب الحيرة وجهد الفقر أن يشعر بالألم ويعطف على أصحابه.

وجاءت سورة الشرح طرازاً آخر من السيرة والصورة، فقد ذكرت أهم خصائص النبوة وصاحبها الذي ختم به الرسل.

وكل منها عنوان فصل طويل من السيرة وموضوع كتاب ضخمة في التاريخ والتفسير، قد بدأها الله بذكر شرح الصدر الذي هو مقدمة العلوم الدقيقة العميقة التي هي النبوة ومصدر هذه فاضت على العالم ولا نظير لها في التاريخ ومصدر هذه الأخلاق الكريمة التي لا تنبع إلا من الصدر الذي شرحه الله وملاه إيماناً وحكمة وحباً ورحمة، ولا يطبقها إلا من وسع صدره وقلبه وأشرق بنور الله حتى وسع الإنسانية كلها، ثم ثناه بوضع الوزر الذي أنقض الظهر، وتاريخ النبوة والإسلام شاهد على ذلك ولا يعرف تأويل هذه الآية إلا من قارن بين حياته المكية الأولى والمدنية الأخيرة، ورأى القوة بعد الضعف، والأنس بعد الغربة، ورأى الفتح المبين ودخول الناس في دين الله أفواجا، أما رفع الذكر فالعالم بتاريخه وجغرافيته شاهد على ذلك فمن ذا الذي لهجت الألسن والأقلام بالحديث عنه والثناء عليه ومن ذا الذي يدوى العالم باسمه خمس مرات في كل مكان، ومن ذا الذي يشغل ذكره الخطباء والمؤلفين الذين لا نهاية لهم، ومن الذي يصلى عليه هذا العدد الضخم وهذا الجم الغفير في كل عصر ومصر ومن ذا الذي دخل اسمه في شعار ديانة يدين بها ملايين من البشر؟ إنه محمد(ص) من بين الأنبياء وقادة الأمم. إذن فالسورتان خلاصة للسيرة النبوية ومعجزة في الإيجاز والتصوير.

الخاتمة

نستخلص من هذه العجالة أن القرآن الكريم كتاب ممتليء بالأسرار، لم يستطع العقل البشري حتى الآن الوصول إلى جميع أسراره، وكنوزه، فكلما تعمق البشر في المعارف العقلية والقوانين الاجتماعية والأخلاقية والقصصية وبفنون العلوم تمكنوا من استخراج مواضع ومفاهيم جديدة من القرآن.

وحول عجائب هذا الكتاب العظيم، يقول الحبيب الناطق باسم الوحي، الرسول الأكرم (ص) "له ظهر وبطن، فظاهره حكم، وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له تخوم وعلى تخومه تخوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكم.

وهذا، ومن الحقائق الجوهرية الهامة التي يحاول هذا البحث اثباتها ما يلي:

1 - ومما تقدم يتضح لنا مدى ارتباط هذا العلم "فن القصص أو الفن القصصي" بالقرآن ارتباطا وثيقا لا يمكن اهماله، وبهذا يقرر هذا البحث أن علاقة البلاغة وغيرها من العلوم اللغوية كالنحو والصرف وغيرها بالقرآن تبرز مظاهرها في نواح عدة تتركز في كون هذه العلوم وضعت لخدمة فهم القرآن المجيد وصونه من الخرافات فيه، وادراك مقاصده، كل ذلك للوصول بالمسلمين إلى فهم القرآن على الوجه الذي يحقق ما أنزل لأجله وهو تدبر معانيه واتعاظ بقصصه المؤدي إلى العمل بما فيه.

2 - إن القرآن الكريم دقيق للغاية في سرد القصص. فلم لا؟ والقرآن كتاب صدر من رب العالمين ومن أصدق منه قيلا وأحسن منه مقالا؟ وما ذكرته في هذا البحث غيض من فيض. نسأل الله ﷻ أن يجعلنا من أهل القرآن وخاصته.

الهوامش والمراجع

- 1 - القرآن الكريم
- 2 - التفاسير الآتية: الطبري-الكشاف- صفوة التفاسير- تفسير المنار.
- 3 - البيجاري، علي محمد وزملاؤه، قصص القرآن، صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، 1431 هجرية (م2010) ص: 41، بتصرف.

- 4 مجموعة الحديث تشمل على تسع كتب ورسائل ، تحقيق الشيخ ناصر بن عبد الجبار الحصين ، الرياض، 1981م، المملكة العربية السعودية.ص: 234-264
- 5 إبراهيم إسحاق أولايوولا ، مذكرة علوم القرآن للطلاب الصف الثاني ، جامعة إبراهيم بدماصى بابنغدا، لبي، نيجيريا، 2015م. ص: 14
- 6 السيوطي، جلال الدين، الإتيقان في علوم القرآن، ج4، ص: 18
- 7 السيوطي، جلال الدين، أسرار ترتيب القرآن، ج1، ص: 73
- 8 أحمد، مصطفى فيصل ، موسوعة، "المعلومات الإسلامية الميسرة " ، القاهرة، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، بت، جمهورية مصر العربية، ص: 147
- 9 الصابوني، محمد علي، ايجاز البيان في سور القرآن ، مكة المكرمة، جامعة أم القرى، ص: 245
- 10 طبار، عفيف عبد الفتاح ، مع الأنبياء في القرآن الكريم ، النهضة، جمهورية مصر العربية، 1405 هجرية، ص: 143
- 11 طه، جابر، رؤية جديدة في قصص القرآنية، القاهرة، دار التراث العربي، جمهورية مصر العربية، 1412 هجرية، ص: 187
- 12 أبو الخطيب، علي إبراهيم، مع اعجاز القرآن، الكويت، دار الهدى، دولة الكويت، بت، ص: 86
- 13 الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الفكر، بيروت، 1981م.